المصطلح اللساني ولغات التخصص

د/ وسام فرطاس

أهداف المحاضرة:

تروم هذه المحاضرة لتحقيق جملة من الأهداف نلخصها في النقاط الآتية:

1_ تقديم تحديد دقيق للغات التخصص.

2- التعرف على أبرز سمات لغات التخصص.

3- تحديد علاقة المصطلحات بلغات التخصص بصفة عامة والمصطلح اللساني على وجه الخصوص.

4- إدراك أهمية المصطلحات في بناء هذا النوع من اللغات.

5- تحديد قيمة وأهمية المصطلح اللساني في التعبير عن المفاهيم والمعارف اللسانية.

تمهيد:

تعد اللغة أهم نسق من بين الأنساق التواصلية وأكثرها تداولا بين البشر، ونظرا للتطور الكبير الذي شهده العالم خلال القرنيين الأخيرين على المستوى العلميّ وتقنيّ، الذي ساهم في ظهور الآلاف، بل الملايين من المفاهيم في مختلف العلوم و المجالات (العلوم العلمية، والعلوم التقنية ، والعلوم الإنسانية والاجتماعية) بمختلف فروعها وتخصصاتها، فكان لِزامًا أنْ يُرافق ظهور هذا الكم الهائل من المفاهيم والنظريات مصطلحات لاحتوائها، وبناءً على تعدد هذه التخصصات ظهر ما يعرف بـ:

"**لغات التخصص**" **(les langues spécialisées)**، فالتقنيون على سبيل المثال يستخدمون لغة خاصة فيما بينهم لتبادل مختلف المعلومات والمفاهيم التقنية. واستنادا لذلك تتأثر لغتهم بطبيعة تخصصهم وتصبح لها سمات تميزها عن اللغة العامة المتداولة بين الأفراد.

1_ مفهوم لغات التخصص

قبل أن نتطرق لمفهوم لغات التخصص نستحضر أولا أشهر مفهوم تداولا للغة لـ :**أبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)** في كتابه **"الخصائص"** في باب **"القول على اللغة وما هي"**: " أما حَدّها فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]. فاللغة وجدت من أجل التعبير عن الحاجات اليومية ومختلف الأغراض، وهذا تجسيد لوظيفة اللغة الأساسة المتمثلة في تحقيق الوظيفية التواصلية.

[1] أبو الفتح عثمان بن جِني: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دط، دت، ج1، ص 33.

وباعتبار اللغة تستخدم داخل بيئات متعددة ومن طرف جماعات ينتمون مستويات متباينة أيضا؛ فإنّها تتأثّر بتلك البيئات والمستويات. "وينشأ عن ذلك التأثُّر أنواع لغويّة متعدّدة تتمثّل في اللهجات الإقليميّة(عراقية، مصرية،...) والمستويات الاجتماعية(لغة الطبقة الراقية، لغة الطبقة المتوسطة، لغة الطبقة السُفلى). إضافة إلى استعمال اللغة لتحقيق الغرض العامّ في التواصل اليوميّ؛ فإنّ جماعات معيّنة داخل المجتمع تجمعها اهتمامات علميّة أو مهنيّة مشتركة تستعمل اللّغة لأغراض خاصّة."[1]

فلكل أصحاب تخصص أو مهنة لغة خاصة بهم يستعملونها للتواصل ونقل وتبادل المفاهيم فيما بينهم، "فالأطباء مثلا: يستخدمون اللغة لتبادل المعلومات الطبية فيما بينم، فتتأثر لغتهم بطبيعة مهنتهم وتصبح لها خصوصيّات تميّزها عن اللغة العامّة في المستويات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة (التركيبية) والدلاليّة. ويكتسب أهْلُ المهنة لغتهم الخاصة أثناء تدرُّبهم على المهنة ومزاولتها؛ ليتمكّنوا من التواصل بسهولة مع بقيّة أفراد المهنة. وقد عَرَفَ اللغويون ذلك منذ أمد طويل، فعندما تحدّث "**المبارك بن الأثير الجزري (ت606ه)**" في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر عن اللفظ: قسمه إلى عام وخاصّ.[2]

والحديث عن هذا النوع الخاص من اللغة يستوجب الإشارة أولا أنّها وردت بالعديد من المسميات التي وإنْ تعددت بين الباحثين وأهل الاختصاص؛ إلا أنها تصب في اتجاه واحد، ومن أبرز هذه المصطلحات تداولا نذكر:

[1] علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص65.

[2] ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

- اللّغة المتخصصة: Langue spécialisée

- لغة التخصص: Langue de spécialité

- اللغة الخاصة: Langue spéciale

ومن الأمثلة عن المفاهيم التي قدمت للغات التخصص نذكر المفهوم الذي قدمه **"جوزيف فندريس"** في كتاب **"اللغة "** : "تلك اللّغة التي لا يستعملها إلا جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصة. ومثال ذلك حالة "المُحْضِر" أو "حالة القاضي"؛ فهذان الموظفان يستعملان لغة بعيدة جدًّا عن اللغة الجارية: هي اللغة القانونيّة. "[1]. ويقول أيضا: "ومن اللغات الخاصَّة أيضا تلك اللغات التي تتميّز من اللّغة الجارية ويستخدمها عدد محصور من الأفراد للتفاهم الذي فيه شيء من السريّة. "[2]

نلاحظ من خلال المفهوم الذي أشار إليه "فندريس" أن هذا النوع من اللغة ليس متاحا للعامة من الناس كما هو الحال بالنسبة للغة العامة، وإنّما هي لغة يقتصر استعمالها عند فئات من الأفراد يجمعهم عامل مشترك يتمثل في التخصص المشترك أو المهنة الواحدة، وهنا ضرب مثال: "المحضر والقاضي " اللذان يستعملان لغة خاصة بطبيعة هذه المهنة أو بطبيعة هذا تخصص وهي اللغة القانونية، وعليه فلغات التخصص وُجِدت من أجل التفاهم بين أهل الاختصاص أو المهنة.

[1] جوزيف فندريس، اللغة، تر عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، سلسلة ميراث للترجمة، القاهرة، مصر، دط، 2014، ص314.

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

أما "**عمار ساسي**" في كتابه "**صناعة المصطلح في اللسان العربيّ نحو مشروع تعريب المصطلح العلمي من ترجمته إلى صناعته**" قدم مفهوم لغات الاختصاص بأنّها: "هي لغات تخاطب في أمر علميّ خاص بين مختصين، ولما كان لكل لسان خصائص تركيبية مميزة في الإبانة على المعاني؛ اقتضى الأمر أولا فقها مركزا لخصائص التركيب في اللسان".[1]

الأكيد أنّ الباحث "عمار ساسي " هو أيضا لم يُخالف المفهوم السابق في اعتبار لغات التخصص نوع خاص من اللغة لا يستعمل في الظروف التواصلية اليومية او العادية، بل هي لغات تستعمل للتخاطب في الميادين والتخصصات والأمور العلمية بين أصحاب الاختصاص الواحد، لكنه أشار لنقطة في غاية الأهمية في كون هذه اللغات المتخصصة وظيفتها نقل وتبادل المعارف المتخصصة التي تتميز بالدقة والاقتصاد اللغوي، ومن هذا المنطلق يرى عمار ساسي ضرورة مراعاة السمات والخصائص التركيبية لكل لسان تحقيقا لعنصري الدقة والإبانة .

2 خصائص لغات التخصص

اجمعت كل المفاهيم التي تطرقت لموضوع لغات التخصص أنّ هذا النوع من اللغة وإنْ كانت هناك نقاط اشتراك بينها وبين اللغة العامة على مستوى العديد من المستويات من بينها المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية....)، فهذا لا ينفي أبدا وجود مجموعة من السمات والخصائص الخاصة بهذا النوع من اللغات التي يختارها الباحثون تلبية لمتطلبات تخصصاتهم من بينها:

[1] ينظر: عمار ساسي، صناعة المصطلح في اللسان العربيّ نحو مشروع تعريب المصطلح العلمي من ترجمته إلى صناعته، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص 80.

2-1- المصطلحات قاعدة لغات التخصص:

كما سبق الذكر أنّ لغات التخصص تشترك في أغلبية الخصائص التي تقوم عليها اللغة العامة، وفي الوقت ذاته تمتلك هذه اللغات الخاصة جملة من الخصائص التي تجعل استعمالها يكون محصورا وقصرا على أهل الاختصاص، ومن أبرز هذه السمات "**القاعدة المصطلحية**" .

تعدُ المصطلحات القاعدة الأساس التي تقوم عليها أيّ لغة متخصصة كانت، وفي أي علم من العلوم ، هذا ما عبر عنه **"الخوارزمي (ت387ه)" بقوله:** إنّ المصطلحات مفاتيح العلوم على حد تعبير الخوارزمي وأدوات واصفة للعلوم [1]. وهذا يجعل من المصطلحات جزءٌ لا يتجزأ منها. لذا نَلْحظ أغلبية الباحثين والدارسين المهتمين بهذا النوع من لغات التخصص يركزون وبشكل كبير على المصطلحات، وللوصول لتحليل هذه اللغات المتخصصة ومعالجة بعض قضاياها نجدهم يَنْكَبون على الاهتمام ودراسة هذا الجانب الأساس من هذه اللغات والمتمثل في المصطلحات، على اعتبار أنّ باب الولوج وفهم هذه العلوم لا يكون إلا من خلال المصطلحات التي تُعد السبيل لذلك.

لكن تجدر الإشارة إلى أنّ لغات التخصص لا تقوم على الكم المصطلحي فقط، لأنّ المصطلحات وحدها لا تُقِيم لغة، بل تشمل بالإضافة إلى المصطلحات بُنى لغويّة أخرى تتضمن كل أنواع العلاقات التي تربط بينها، ومختلف القواعد والروابط التي تحكمها.

[1] ينظر: محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزميّ، مفتاح العلوم، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 13.

هذا ما أشار إليه **"محمود فهمي حجازي "** في كتابه **"الأسس اللغوية لعلم المصطلح"** "المصطلحات جزء من لغات التخصص، وهي جزء أساسي في كل لغات التخصص المختلفة، سواء أكانت في المجال العلمي أم في المجال المهني. إنّ لغات التخصص ليست مجرد مصطلحات، فالمصطلحات وحدها لا تقيم لغة، بل فيها –أيضا- خصائص صرفية ونحوية محددة. لا شكّ في أنّ السّمة الجوهريّة المميّزة للعبارة المتخصّصة تكمن في مصطلحاتها،؛ فقد أثبتت بحوث تعليم اللّغات لأغراض خاصّة أنّ في كلّ لغة تخصّصيّة خصائصًا صرفيّة تشيع فيها وهذه الخصائص مأخوذة من اللّغة العامّة"[1] .

و"الفرق الأساسي بين المصطلحات من جانب والخصائص الصرفية والنحوية في لغة التخصص من الجانب الآخر يكمن في أنّ المصطلحات كثيرة تتكون في داخل لغة التخصص، وبعضها ينتقل إلى اللّغة العامة، ولكنّ الخصائص الصرّفيّة والنّحويّة لا تتكوّن إلا في اللّغة العامّة، ويختار بعضها فقط لتلبية متطلّبات التّخصّص".[2]

تكمن أهمية المصطلحات في ميدان لغات التخصص أنها تعتبر المسؤول الأول في ضبط مساق لغات التخصص ، وتحديد درجة تخصصها، كَون المصطلحات كلما اقتربت من العامة كلمّا زاد عدد مستعمليها ممّا يستلزم قلة درجة تخصصها، بيّنما ترتفع هذه الدرجة كلمّا انحصرت مجالات استعمالها بين أهل الاختصاص.

[1] محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص14.

2-2- توخّي الدّقّة والدّلالة المباشرة:

تتميز لغات التّخصّص في كونها "تتوخّى الدّقّة والدّلالة المباشرة، وكلتاهما سِمةٌ جوهريّة في المصطلحات العلميّة والتّقنيّة. وهذه السّمة تجعل لغات التّخصّص تختلف عن اللغة العامة وعن اللغة الأدبية..... ووجه الخلاف أنّ لغات التّخصّص تتجنّب الإيحاء والعموم وعدم الدّقّة. ولهذا فإنّ المصطلحات ينبغي أنْ تكون دالّة على نحو مباشر ودقيق وبعيد عن اللّغز والغموض. وعندما تستخدم كلمات من اللّغة العامّة في لغة التّخصّص فإنّ هذه الكلمات تكتسب في استخدامها الجديد دلالة محدّدة وغير عامّة فتصبح دلالة الكلمة في اللّغة العامّة مختلفة عن دلالتها الاصطلاحيّة".[1]

2-3- الوضوح:

تتسم لغات التّخصّص بصفة عامّة بمصطلحاتها المحدّدة وبتراكيبها الواضحة البسيطة. ومن هذا الجانب فهي في رأي مدرسة براغ في علم اللّغة أسلوب خاص من أساليب اللغة، وهو الأسلوب الوظيفيّ، والمقصود هنا بالأسلوب ذلك الأساس الذي يقوم عليه النص من حيث اختيار الوسائل اللغوية... واستخدامها، وبعبارة أخرى: فإنّ الأساليب هي أسس تنظيم صور تحقق النظام اللغويّ، وثمّة تمييز بين الأسلوب الذي يغلب عليه الطابع الاتصاليّ المتمثل في اللّغة اليوميّة المنطوقة، والأسلوب الجماليّ في الفن الأدبيّ، والأسلوب المهنيّ العلميّ في التعامل العام في مجالات العمل، والأسلوب العلمي في التعبير العلميّ المتّخصّص. وتوجد لغات التّخصّص - وفق هذا التقسيم - في أسلوبين وظيفيين اثنين، فهي تضم الأسلوب

[1] محمود فهمي حجازي، الأسس اللغويّة لعلم المصطلح، ص14.

العلميّ المهنيّ في التعامل العام في العمل، وفي التناول المباشر للموضوعات العمليّة، وتضم أيضا الأسلوب العلمي في الموضوعات العلمية المختلفة. ولهذا فإنّ مجال المصطلحات واسع باتساع هذين المجالين الكبيرين، وينبغي في كلا المجالين أنْ يكون المصطلح محدّدا وواضحا؛ حتى يكون صالحا للدلالة المباشرة..[1]

2-4- لغات التخصص جزء من اللغة العامة

لغات التخصص جزء من اللغة العامّة، وتعتمد عليها، إذْ إنّ لغات التخصص تستعير أغلبية عناصرها من اللغة العامة بل وفي بعض المستويات اللغوية كل عناصرها من ذلك المستوى الصرفي والصوتي على سبيل المثال، " ولكنّها أقلّ منها كمًّا وأكثر دقَّة.[2].على اعتبار أنّ لغات التخصص تعبر عن مفاهيم ومعارف دقيقة؛ لذا تُصنف على أنّها أدق من اللغة العامة كونها تَجْنَح إلى توخي الدقة والدلالة المباشرة، وتتجنب الاستعارات والكناية والتشبيه، والأساليب المجازية.

2-5- الاقتصاد في التركيب:

تعتمد لغات التخصص الاقتصاد في التركيب، ويعني:" توازن بين المجهود والمردود نطقا وخطا وقد عرف عمار ساسي الاقتصاد اللغويّ بقوله: " إنّ الاقتصاد اللغويّ هو التزام المتكلم بمعايير(قواعد) اللسان صوتا ومفردة وتركيبا في مخاطبة السامع".

فالأصوات تسير وفق قاعدة الانسجام الصوتي وترفض التنافر، والمفردة تستوجب أن تكون دقيقة ، والتركيب لابد أنْ يكون مبنيا على مبدإ الاقتصاد؛

[1] محمود فهمي حجازي، الأسس اللغويّة لعلم المصطلح، ص 15.

[2] هريبرت بيشت، جنيفر دراسكاو: مقدمة في المصطلحيّة، تر محمد محمد حلمي، جامعة الكويت، الكويت، دط، 2000، ص 5.

ومن هنا فاللغة هي نظام لربط الكلم ببعضها وفق مقتضيات دلالاتها العقلية، وبذلك فقط يمكن لها القيام بوظيفتها الرئيسة كوسيلة لاتصال الناس ببعضهم.

وعليه فالغرض في لغة الاختصاص ليس هو توالي المصطلحات في النطق والكتابة؛ بل تناسق دلالتها، وتلاقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل. فأدنى زيادة أو نقص في الخطاب المتخصص قد يفسده ويعرقل وظيفته، لأنّ الخطاب المتخصص يستوجب أنْ يكون مُرَكَّزا جدا ودقيقا؛ باعتباره يعبر عن معرفة متخصصة مشتركة بين أفراد يجمعهم تخصص واحد.

3- المصطلح اللساني ولغات التخصص

قبل أن نحدد علاقة المصطلح بلغات التخصص لا بدّ أن نشير لهوية المصطلح اللسانية، ومن هذا المنطلق وجب التفريق بين "المصطلح" "Terme " و"الكلمة" "Mot" ، لأنّ الكثير من الدراسات التقليدية كما يرى "خليفة ميساوي" أنها تخلط بينهما، حيث تعتمد على التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للكلمة مهما كان صنفها، أو الحقل المعجمي أو الدلالي الذي تنتمي إليه. فالكلمة شأن عام يستعملها المتكلم في خطابه قصد التواصل والتعبير عن الأغراض والحاجات، وعليه فالكلمة ليست مقيدة بحقل دلالي مخصوص، ولكنها مرهونة بالسياق، بينما المصطلح شأن يستعمله المتكلم تبعا لحقول دلالية محددة ويتقيد بالسياق العلمي الذي أُنتج فيه، فالكلمة تتكون من دال ومدلول ومرجع، بينما المصطلح يتكون من دال ومفهوم ومرجع مخصوص[1].

[1] ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 152.151.

تعتمد عملية نقل المعارف والمفاهيم اللسانية على لغة خاصة تتميز بالسمات المعروفة للغات التخصص التي سبق ذكرها، وقد أشرنا أنّ هذا نوع من اللغات الخاصة يعتمد في الأساس على المصطلحات، ومن هذا المنطلق فإنّ المصطلح اللساني هو القاطرة الحاملة للحمولات المعرفية والمفهومية اللسانية، فكلما كانت هذه المصطلحات اللسانية موضوعة وفق الشروط العلمية التي ينص عليها المصطلح كلما تَيسرت عملية نقل وتبادل المفاهيم والمعارف اللسانية.